

## غابر الاندلس وحاضرها

### (٤) العلم في الاندلس

قال لنا الدكتور روزيه<sup>(١)</sup> رئيس جامعة لوزان في سويسرا سابقاً انني طوفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فاعجبت بها كل الاعجاب ومما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية فان اهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ولم يتيسر لمدينة القرن العشرين ان تقيم ارقى مما انشاء ابناء جنسك في القرون الوسطى ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المعالم في ارض اندلس على نفس هذه السكور على وادي الاحمر وغيرها والا لهلك اهل ذلك الاقليم عطشاً ومن الاسف ان مدينة هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها فتجبع من قضا عليها واولوكم الى ما انتم عليه من الانحطاط .

جملة لا يزال صدها يتردد في اذنتنا منذ فاولها بها العالم السويسري من بضع سنين وقد ذكرنا بها عهد الاندلس وعهد عمرانه الزاهر وارثاقه الباهر . ذكرنا بالامس امة عربية اوروية تشبه الغربيين في تصوراتها وآدابها وعلمها ولكنها شرفية عربية مسلمة باقامة شعائر دينها واخلاقيها وعاداتها وقلنا اننا معاشر العرب على كثرة عنايتنا ايام عزنا بتقييد علوم ديننا ولساننا وما الى ذلك لم تكن في العناية بالعلوم التي هي اليوم العلوم الحقيقية كالرياضيات والطبيعات والكيمياء والفلسفة والطب والفلك دون ذلك بكثير والا لما قامت مصانع الاندلس على النظام الذي يرى الناس اثره وهجيبون به على اختلاف العصور ولما اعجب الاستاذ روزيه اليوم بهندسة العرب اسدود بلنسية الباقية لمهدنا بعد انقراض دولة العرب من تلك البلاد زهاء اربعة قرون .

ولقد حدث الثقاق ان الغربيين من الجاورين للاندلس كالفرنجة اي الفرنسيين

(١) من محاضرة « العرب في الاندلس » القاها في النادي العربي بدمشق مساء

والانسان وسكان بررومية اي الطليان وكانوا امثل الافرنج مدنية لذلك العهد لم يكونوا الادون حيرانه عرب الاندلس في العلم واعمال العمران والصناعات والزراعة ولولا علماء الكيمياء والهندسة النبات والطب من العرب لأخرت المدنية في اوربا زماناً طويلاً . ولذلك كانت الاندلس في عهد العرب كعبة العلم ينجح اليها اذكفاء الطلاب من فرنسا واطاليا وغيرهما كما ينجح اليوم طلاب العلم الي كليات فرنسا والمانيا وانكلترا والبلجيك وسويسرا وهولاندة .

اخذ عشرات من الافرنج العلوم عن عرب الاندلس وترجموها باللاتينية ومنها ما فقد اصله العربي اليوم وبقيت ترجمته فقط<sup>(١)</sup> . وان العلوم التي تلقاها جربت الذي اصبح بابا رومية بامم سلفستر الثاني عن عرب الاندلس كانت موضوع اعجاب معاصريه حتى اتهموه بالسحر .

كانت الاندلس قبل تغلب بني أمية عليها سنة ٩٢ هـ خالية من العلم لم يشتهر عند اهلها احد بالاعتناء به الا انه يوجد فيها ضاميات قديمة في مواضع مختلفة وقع الاجماع على انها من عمل ملوك رومية اذ كانت الاندلس منتزعة بمملكاتهم . ولما استقر الامر لبني أمية عني جماعة من اهلها بطلب الفلسفة ونالوا اجزاء كثيرة منها وفي ايام الامير الخيامس من بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن اي في اواسط المئة الثالثة تحرك افراد من الناس الى طلب العلوم اي غير علوم الشريعة واللغة ولم يزلوا يظهرن ظهوراً غير شائع الى قريب وسط المائة الرابعة .

ذلك لان رجال الدين كانوا اصحاب صولة وتأثير في النفوس ومن عادة من جهل شيئاً ان يعاديه فتوهم بعضهم ان هذه العلوم الدنيوية مدرجة الى الزهد في العلوم الاخرية فكانوا يشددون التكبير على من يتعاطونها ولكن اكثر ملوك بني أمية ومن بعدهم من ملوك الاندلس كانوا اعتل من ان يطاوعوهم في النيل من يريدون الابقاع بهم لمخالفتهم لهم في العلوم التي يمتون بها .

اشتهر بين وسطي المئة الثالثة والرابعة من العلماء ابو عبيدة مسلم البلنسي المعروف (١) راجع ما كتبه هوار في تاريخ العرب في اسماء قلة الافرنج في العلوم عند العرب وما كتبه نالينو في كتابه علم الفلك عند العرب المطبوع في رومية .

بصاحب القبلة كان عالماً بمجرات الكواكب واحكامها وصاحب فقه وحديث ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمين من اهل قرطبة كان بصيراً بحساب النجوم والطب وغير ذلك متصرفاً في العلوم متفناً في ضرب المعارف وكانت معتزلي المذهب توفي سنة ٣١٥ ومنهم محمد بن اسمعيل المعروف بالحكيم وكان عالماً بالحساب والمنطق نحوياً لغوياً توفي سنة ٣٣١

انتدب الامير الحكم في ايام ابيه عبد الرحمن صدر المائة الرابعة الى العناية بالعلوم فاستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار الشرق عيون التواليف الجليلة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية ايام ابيه ثم في مدة ملكه ما كاد يوازي ما جمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة فكثير تحرك الناس في ايامه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم .

وقام بعده ابنه هشام فعمد الى خزائن ابيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها واراد استخراج ما فيها من ضرب التأليف بمحضر خواص من اهل العلم بالدين وامره باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا اليك والحساب وامر باحراق ما عدا ذلك وافساده فاحرق بمقتضا وطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارة وغيرت بضرب من التغاير فعل ذلك تحبباً الى عوام الاندلس وتفتيحاً للمذهب الخليفة الحكم عندهم اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند اسلافهم مذمومة بالسنه رؤسائهم وكان كل من قرأها متهاً عندهم بالخروج عن الملة ومظنوناً به الاحساد في الشريعة فسكن اكثر من كان تحرك الحكمة عند ذلك واضمحلت نفوسهم وتسترأوا بما كان عندهم من تلك العلوم ولم يزل اولو الباهة من ذلك الوقت يكتبون ما يعرفونه منها ويظهرون ما تحبوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما اشبه ذلك الى ان انقرضت دولة بني أمية من الاندلس .

قال هذا القاضي صاعد وتؤيده رواية ابن سعيد في المغرب قال وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لها حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه كما قيل فلان يقرأ الفلسفة او يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة

اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه فان زل في شبهة رجوه بالحجارة او حرقوه قبل ان يصل امره لاسطان او يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة وكثيراً ما بأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت وبذلك تقرب المنصور بن ابي عامر لقلوبهم اول نهوضه وان كان غير حال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحنجاري .

قال ابن حزم : واما كتب الفلاسفة فاماها في عصرنا ابو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف مجدها لما رى من انحراف منصور بن عبد المؤمن عن هذا العلم ومجته بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المؤمن بن منصور المذكور على هذا العلم باشيالية وهو علم مقبوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره وكان مطرف الاشبيلي قد اشتغل بالتصنيف في علم النجوم الا ان اهل بلده كانوا ينسبونه الى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئاً مما يصنف .

وقال ايضاً من رسالة اهل قرطبة انهم من التمكن في علوم القرائت والروايات فقط وكثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم يمكن رحب الفناء واسع العطن متناهي الاقطار فسيح المجال . وقد ذكر ابن حزم في رسالته هذه من نفع في الاندلس من المؤلفين في علوم الدين والنسب والتاريخ والطب وعد بعض كتبهم قال واما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن فحون السرقسطي دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسائل استاذنا ابي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة . وقال لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمع وهما من اهل بلادنا وكذلك احمد بن نصر .

وقال آخر واما كتب علم الموسيقى فككتاب ابي بكر بن باجة الفرناطي من ذلك فيه كفاية وهو في الغرب بمنزلة ابي نصر الفارابي بالشرق واليه ينتسب الاخوان الطارفة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيي الخدج كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لابي الفرج وهو من ادرك المئة السابعة قال صاعد ولما افتقر الملك في صدر المائة الخامسة من الهجرة بين ملوك الطوائف واقتعد كل منهم قاعدة من امهات البلاد فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة من امتحان الناس واضطرت الفتنه الى بيع

ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك باوكس  
ثمن واثقه قيمة انتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس ووجد في خلالها اعلاق من  
العلوم القديمة كانت اقلت من ايدي المحتججين بحركة الحكم ايام المنصور بن ابي عامر  
واظهر ايضاً كل من كان عنده من الرعية شيء ما كان لديه منها فلا تزل الرغبة ترتفع من  
حين ذلك في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً ثم ابحت تلك العلوم الى ان زهد الملوك فيها  
وفي غيرها فقل طلاب العلم وصاروا افراداً بالاندلس .

فن اعلام هذه العلوم على ذلك العهد ابو غالب بن عباد الفرائضي كان مشهوراً  
بعلم العدد وابو ايوب عبد الغافر بن محمد احد المهرة بعلم الهندسة . وعبد الله بن محمد  
المعروف بالسري كان عالماً بالعدد والهندسة وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيمياء  
وممنهم ابو بكر بن ابي عيسى كان مقدماً في العدد والهندسة والنجوم وسائر العلوم  
الرياضية فكان يجلس لتعليم ذلك في ايام الحكم . وعبد الرحمن بن اسمعيل بن زيد  
المعروف بالافليدي كان مقدماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق واحمد بن حماد  
القرطبي (٣٣١) عالم بالحساب والهندسة وابو القاسم احمد بن محمد العدوي كان معلماً  
بعلم العدد والهندسة نافذاً فيها وابو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالخمصار  
السرقي كان متحققاً اماماً في علم النجوم واللغة وله تأليف في الموسيقى ورسائل  
في الفلسفة . وابو القاسم مسلمة بن احمد المعروف بالمرحيط كان امام الرياضيين في الاندلس  
في وقته واعلم من كان قبله بعلم الافلاك وكانت له عناية بارصاد الكواكب وله كتاب  
حسن في تمام علم العدد وهو المعنى المعروف بالمعاملات وكتاب اختصر فيه تعدين  
الكواكب من زيج البتاني وعني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخه  
الفارسي الى التاريخ العربي ووضع اوساط الكواكب لاول تاريخ الهجرة وزاد فيه  
جداول حسنة توفي في سنة ٣٩٨ وقد انجب تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالاندلس مثله  
فن اشهرهم ابن السمع وابن الصفار والزهراني والكرماني وابن خلدون .

فاما ابن السمع القاسم اصبح بن محمد بن محمد بن السمع المهندس فكان متحققاً بعلم العدد  
والهندسة مقدماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب  
وله تواليف حسنة في الهندسة وعمل الاسطرلاب والازياج ومنها زيجه الذي الفه على

احد مذاهب الهند المعروف بالسند هند توفي سنة ٤٣٦ واما ابن الصفار فهو ابو القاسم احمد بن عبد الله بن عمر كان محققاً ايضاً بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم ذلك وكان له اح يسمى محمداً مشهور بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنفاً لها منه .

واما الزهراوي فهو ابو الحسن علي بن سليمان كان سالماً بالعدد والهندسة معتنياً بعلم الطب . واما الكرماني فهو ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن من اهل قرطبة احد الراشدين في علم العدد والهندسة رحل الى الشرق وانتهى الى حران من بلاد الجزيرة وعني هناك بعلم الهندسة والطب ثم رجع الى بلاد الاندلس وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا ولم يدخلها احد من اهل الاندلس قبله ومحل من العلوم النظرية المحل الذي لا يجارى فيه توفي بسر قسطة سنة ٤٥٨ واما ابن خلدون ( هو غير عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ ) فهو ابو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمي من اشرف اهل اشبيلية في عوم الفلسفة مشهور بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقه وتعديل سيرته وتقوم سياسته توفي سنة ٤٤٩

ومن مشاهير تلاميذ ابي القاسم احمد بن عبد الله الصفار ابن برغوث والواسطي وابن شهر والقرشي والامطش المرواني وابن العطار فاما ابن برغوث فهو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث كان محققاً بالعلوم الرياضية مختصاً منها بايثار علم الافلاك وهيئاتها وحركات الكواكب وارصادها وكان له مع ذلك تحقيق بعلم النجوم ومعرفة القرآن والفقه والنوائق واشراف حسن على سائر العلوم توفي سنة ٤٤٤ واما الواسطي فهو ابو الاصمغ عيسى بن احمد احد المتكئين من علم العدد والهندسة والفرائض وقعد بقرطبة لتعليم ذلك وله ايضاً بصر بجمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم واما ابن شهر فهو ابو الحسن مختار بن شهر الرعيي كان بصيراً بالهندسة في النجوم مثقداً في اللغة والنحو والحديث والفقه شاعراً متكبلاً ذاهواً ومعرفة بالسير والتواريخ واما ابن العطار فهو محمد بن خيرة العطار فكان من تلاميذ ابن الصفار مثقفاً بعلم العدد والهندسة والفرائض وله بصر بصناعة النجوم وعناية بعلم حركاتها .

ومن مشاهير تلاميذ ابن السمع ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى بن الناشي

وهو بصير بالعدد والهندسة معتن بصناعة الطب واحكام النجوم وابو جعفر احمد بن عبدالله المعروف بابن الصفار المتطبب ومن نظراء هذه الطبقة عبد الله بن احمد السرقسطل كان نفعاً في علم العدد والهندسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك في بلده توفي سنة ٤٤٨ ومنهم ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن ابراهيم الاشبيلي كان بصيراً بعلوم البرهان والاسان والمساءلة متفتناً في ضروب المعارف صنعا لطيف اليد توفي سنة ٤٢٠

ومن مشاهير اصحاب ابن يرغوث ابن الليث وابن الجلاب وابن حي فاما ابن الليث فهو محمد بن احمد بن الليث كان متحققاً بعلم العدد والهندسة معتنياً بعلم حركات الكواكب وارصادها وكان مع هذا بصيراً بالنجوم واللغة والفقه توفي سنة ٤٠٥ واما ابن حي فهو الحسن بن محمد التجيبي من اهل قرطبة كان بصيراً بالهندسة والنجوم كلفاً بصناعة التعديل وله فيها مختصر على مذهب السند هند وخرج من الاندلس سنة ٤٤٢ ولحق بمصر ثم رحل الى اليمن واتصل باميرها المسيحي وكان ملكه اذ ذاك يشتمل على بعض افر بقة وجميع مصر والشام وجزيرة العرب والحجاز وتهامة ونجد واليمن حظي عنده وتوفي سنة ٤٥٦ واما ابن الجلاب فهو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب احد المتحققين بعلم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله مع ذلك عناية بالمنطق والعلم الطبيعي . ومنهم ابو الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الككناني المعروف بابن الوقشي من اهل طليطلة احد المتفتنين في العلوم المتوسعين في ضروب المعارف من اهل الفكر الصحيح والنظر الداقد والتحقيق بصناعة الهندسة والمنطق والرسوم في علم النحو واللغة والشعر والخطابة والاحكام بعلم الفقه والاثروالكلام وهو مع ذلك شاعر بليغ ليس يفضله عالم بالانساب والاختبار والسير مشرف على جمل سائر العلوم ومن نظراء هؤلاء ابو جعفر احمد بن خميس بن عامر بن منيع من اهل طليطلة احد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب وهو من لدات القاضي ابي الوليد هشام بن احمد بن هشام وابي اسحق ابراهيم بن لب التجيبي المعروف بالقويديس قعد للتعليم بذلك زمناً وكان له بصر بعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم وتفوذ في العربية توفي سنة ٤٥٤ ومنهم محمد بن عبد الله بن مرشد مولى ابن طلح الوزير كان كاتباً كامل الصناعة يجتمع الى ذلك النبوغ في علوم كثيرة من الحساب والتنجيم والهندسة توفي سنة ٤٤٨

وكان في القرن الخامس للهجرة افراد من الاحداث في الاندلس مشتغلون بعلم الفلسفة ذوو افهام صحيحة وهم رفيعة فئتهم من سكان طليطلة وجهاتها ابو الحسن عي بن خلف بن احمر وابو مران عبد الله بن خلف الاستنجي وابو جعفر احمد بن يوسف التهالكي وعيسى بن احمد بن العالم وابراهيم بن سعيد السبدي الاضطرابي . ومن اهل سرقسطة الحاجب ابو عامر بن الامير المقتدر بالله وابو جعفر احمد بن جوش . ومن اهل بالنسية ابو زيد عبد الرحمن بن سيد .

وابرع هؤلاء في الهندسة عي بن احمر الصيدلاني وابو جعفر احمد بن جوشن واعلمهم بحركات النجوم وهيئة الافلاك ابو اسحق ابراهيم بن يحيى القاش المعروف بولد الزرقال - والزرقال نسبة لآلة سموها الزرقلة وهي صحيفة لرصد الكواكب - فانه ابصر اهل القرن الخامس بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها واعلمهم بعلم الازياج واستنباط الآلات النجومية واحمد بن يوسف يعرف بابن كاد (حماد ؟) كان من اهل المعرفة بالعدد وصناعة النجامة وبنى ازياجها ومنها القبس والمستنبط على ارصاد ابني اسحق الطيطلي المعروف بالزرقالة واما ابو عامر بن الامير بن هود فهو مع مشاركته هؤلاء في العلم الرياضي منفرد دونهم بعلم المنطق والعناية بالعلم الطبيعي والعلم الالهي . وكان عبد الرحمن بن اسمعيل بن بدر المعروف بالافليدس الاندلسي متقدماً في علم الهندسة معتزلاً بصناعة المنطق . وموسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي قرأ علم الاوائل واحكم الرياضيات وشدا اشياء من المنطقيات وابو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة عالماً بعلوم الاوائل لم يبلغ احد درجته من اهل عصره في عصره وله تصانيف في الرياضيات والمنطق والهندسة اربى فيها على المتقدمين قال القفطي الا انه يمسك بالسياسة المدنية ويخرف عن الاوامر الشرعية استوزره ابو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكانت وفاته في سنة ٥٣٣

ومن اعتنى بصناعة المنطق خاصة من سائر الفلاسفة ابو محمد بن حزم القرشي وكان ابو احمد العظا من وزراء المنصور محمد بن ابي عامر ووزر لابنه المظفر وكان ابنه ابو محمد وزيراً ايضاً لعبد الرحمن المستظفر بالله ثم نبذ هذه الطريقة وقبل على فراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن وعني بعلم المنطق . ومنهم ابو الحسن عي بن اسمعيل بن سيده



الاعشى وكان ابوه ايضا اعشى عني بعلوم المنطق عناية طويلة والف فيها تأليفاً كبيراً ذهب فيه الى مذهب متى بن يونس وهو بعد هذا اعلم اهل الاندلس قاطبة بالغزو واللغة والاشعار وله في اللغة تأليف جليله منها المحكم والمحيط الاعظم والمختصر ومشرح اصلاح المنطق وشرح كتاب الحماسة ٤٥٨

ومن اعاجيب النواحي الاندلسيين الذين فقدوا بصرهم لم يفقدوا بغيرتهم ابن الخنط الكفيف الذي قال فيه ابن حيان انه كان اوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام بصيراً بالآثار العلوية عالماً بالافلاك والحيشة حاذقاً بالطب والفلسفة ماضراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاواملية ولد اعشى ضعيف البصر متروك الخاطر فقراً كثيراً في حال عشاء ثم طفي نور عينيه بالكلية فزاد براءة ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاج وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيمتدي منها الى ما لا يمتدي البصير ولا يخطي الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبيب عنده الاعيان والمولوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة .

واما العلم الطبيعي والعلم الالهي فلم يكن احد من اهل الاندلس بهما كبير عناية ومن المشتغلين بهما ابن النباش التيماني وابو عامر بن الامير بن هود وابو الفضل بن حسداي الاسرائيلي . واما صناعة الطب فلم يكن بالاندلس من استوعبها ولا لحق باحد من المتقدمين فيها واول من اشتهر منهم بالاندلس احمد بن اياس من اهل قرطبة ومحمد بن عبد الله الاوسط ويعرف بالحرفاني ومنهم يحيى بن اسحق احد وزراء الناصر لدين الله وسعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه مولى الامير هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل وهو ابن اخي احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب العقد وكان له بصر بحركات النجوم ومهاسب الرياح وتغيير الاهوية . ومنهم عمر بن بريق واصمغ بن يحيى واحمد بن حكيم حفصون وكان هذا طبيباً نبيلاً دقيق النظر بصيراً بالمنطق مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومنهم محمد بن تميم بن ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بان المكناني كان عالماً بالطب حسن العلاج ومنهم عبد الملك الثقفي كان عالماً بالطب والهندسة وكان الطب اذلب عليه ومنهم عمر واحمد ابنا يونس بن احمد الحرفاني . ومنهم محمد بن عبدون الجيلي وكان قبل ان يتطلب مؤدباً في الحساب والهندسة ومنهم

سلمان بن حسان المعروف بابن حليل وعبد الله بن اسحق المعروف بابن الشناعة المسلمين الاسرائيلي وابو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكنتاني المظفر وكان بصيراً بالطب متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة ومنهم ابو العرب يوسف بن محمد احد المتحققين بصناعة الطب توفي سنة ٤٣٠

ومن اشهرهم احمد بن ابراهيم الانتصاري من اهل بلنسية كاتب من اهل العلم بالفرائض والحساب لا يجارى في التعاليم قعد لتعاليم الحساب والهندسة ٥٩٣ ومنه ابو عثمان سعيد بن البغوش عالم بعلم العدد والهندسة والطب ٤٤٤ ومنه الوزير ابو المطرف عبد الرحمن اللخمي عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وارسطوطاليس وغيرهما من الفلاسفة وتظهر في علوم الادوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه احد في عصره والف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمنه كتاب ديسقوريدوس وكتاب جالينوس في الادوية المفردة وكان له في الطب منزع لطيف وذلك انه لا يرى التداوي بالادوية ما امكن التداوي بالاغذية او ما كان قريباً منها فاداءت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوي بتركها ما وصل الى التداوي بفقردها فان اضطر الى التركيب لم يكثر التركيب بل اقتصر على اقل ما يمكن منه .

ومنهم ابو مردان بن زهر الاشبيلي وابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي وابو عبد الله محمد الجبائي المعروف بابن النباش معتن بصناعة الطب ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي ومشاركة سيفه الالهي وتحقق بعلم الاخلاق والسياسة وبصر بصناعة المنطق . ومن عني بطلب الفلسفة والهندسة والمنطق ابو الحسن عبد الرحمن بن خلف ابن عساكر كان صنع اليدين متصرفاً في ضروب من الاعمال اللطيفة والصناعات الدقيقة . ولم تزل صناعة احكام النجوم نافذة بالاندلس قديماً وحديثاً فمن مشاهير المشتغلين بها ابو بكر يحيى بن احمد المعروف بابن الخباط وابو مروان الاستنجي احد المتحققين بعلم الاحكام والمشتغلين على كتب الاوائل والاواخر وله سيف التفسيرات ومطارج الشعاعات وتعليل بعض اصول الصناعة رسالة فاضلة لم يتقدمه احد اليها . ومن المذكورين ابو الاصمعي عثمان القرني من اهل قرطبة وكان علمه الذي ينسب اليه ويغلب عليه التنجيم ومنهم عبد الرحمن بن وافد اللخمي من اهل طليطلة رحل الى قرطبة فلق بها

القاسم خلف بن عباس الزهراوي واخذ عنه علم الطب وكان مع تقدمه في ذلك فصيهاً عالماً منفذاً وله في الملاحاة مجموع منيد وكان عارفاً بوجودها وهو الذي تولى غرس جنة المأمون بن ذي النون الشهيرة بطليطلة في سنة ٥٦٧ ومن لم يشتهر دا محمد بن عيسى بن ينق ابو عامر من اهل شاطبة لازم ابا العلاء بن زهر باشبيلية واخذ عنه علمه وبرع في الطب والادب وتوفي سنة ٥٤٧

ومن الاطباء بالاندلس جواد الطبيب النصراني كان في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط وله اللعوق المنسوب الى جواد وله دراهم الذهب والشرابات والغرفات . وكان خالد بن يزيد بن رومان النصراني بقرطبة صانعاً بيده عالماً بالادوية الشجارية وابن ملوكة النصراني كان في ايام الامير عبيد الله واول دولة الامير عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده وينصد العروق وكان على يابه ثلاثون كرسياً لقعود الناس وعمران بن ابي عمر واسحق الطبيب المسيحي كان مقبلاً بقرطبة وكان صانعاً بيده مجرباً يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحكى فاق به جميع اهل دهره ومنهم سليمان ابو بكر بن تاج كان في دولة الناصر وابن ام المؤمنين وابو بكر احمد بن جابر ابو عبد الملك الثقفي كان طبيباً اديباً عالماً بكتاب افليدس وبصناعة المساحة وهر بن موسى الاشبولي وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم . والرومي كان بالمريية في ايام ابن معمر المعروف بابن صمادح والقب بالمعتصم بالله .

ومعهم بن الفوال يهودي من سكان سرقطة كان متقدماً في صناعة الطب متصرفاً في علم المنطق ومائر علوم الفلسفة ومروان بن جناح كان يهودياً وله عناية بصناعة المنطق وتوسع في علم لسان العرب واليهود ومعرفة جيدة بصناعة الطب ومنهم اسحق بن قسطار وكان يهودياً ايضاً وكان بصيراً باصول الطب مشاكراً في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة وله تقدم في اللغة العبرانية وبراعة في فقه اليهود وهو حبيب من احبارهم ومنهم حسداي بن اسحق وكان من احبار اليهود متقدماً في علم شريعتهم وهو ازل من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسنن تاريخهم ومواقيت اعيادهم الى يهود بغداد فيستقبلون من عندهم حساب عدة من الذين يتعرفون مداخل تاريخهم ومباريهم منهم فلما اتصل حسداي

بالحكم ونال عنده نهاية الحظوة توصل به الى استيلاء ماشاء من تأليف اليهود بالشرق فلم يحزنهم والاندلس ما كانوا يملكون واستغنوا عما كانوا يجشعون السكفة فيه . ومنهم الفضل حسداي من ساكني مدينة مرسطة ومن بيت شرف اليهود بالاندلس عني بالعلوم على مراتبها وتناول المعارف من طرقها فاحكم . علم لسان العرب ونال حظاً جزئياً من صناعة الشعر والبلاغة وبرع في علم العدد والهندسة . وعلم النجوم وفهم صناعة الموسيقى وحول عملها والتأليف علم المنطق وتحرر بطرق البحث والنظر واشتغل ايضاً بالعلم الطبي وكان له نظر في الطب ومنهم ابو جعفر بن احمد بن حسداي كان آية في الطب والمنطق ومنهم ابن سمحون ابو بكر حمدة .

وكان ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري من مرسية واعيان اهل الاندلس واكبرهم فاضلاً في معرفة الادوية المفردة وكان ابو جعفر العافقي الشريف محمد بن محمد الحسيني وخلف بن عباس الزهرادي وابن بكلارش من اكبر علماء الاندلس في صناعة الطب وابن الصلت امية بن عبد العزيز من بلد دانية من شرق الاندلس وهو من اكبر الفضلاء في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم وكان اواحد في العلم الرياضي متقناً لعلم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعود .

ومن اعظم فلاسفة الاندلس ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة وكان في العلوم الحكيمية علامة وقته متميزاً في العربية والادب والطب متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود قالوا انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم فانه اذا قرنت اقاويله فيها باقاويل ابن سينا والغزالي وشمس المذان ففتح عليهم بعد ابي نصر بالشرق في فهم تلك العلوم ودوناتها بان لهذا الرجحان في اقاويله وفي حين فهمه لاقاويل ارسطو والثلاثة ائمة دون ريب ومن حكمته الالهيين او المتصوفين الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات دفين دمشق . ومنهم ابو الملا بن زهر كان غاية في علوم الاوائل والطب وابو مروان بن ابي الملا زهر وكان من كبار الاطباء . والحفيد ابو بكر بن زهر كان متميزاً في العلوم ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب ومنهم ابو الحفيد محمد بن ابي بكر بن زهر وابو جعفر بن هارون الترجلي من اعيان اهل اشبيلية وكان محققاً للعلوم الحكيمية متقناً لها

معتمداً بكتب ارسطو طاليس وغيره من الحكماء المتقدمين فاضلاً في صناعة الطب عالمًا بصناعة الكحل . وابو الحجاج يوسف بن موراطير من شرقي الاندلس وموراطير قرية من بلنسية كان فاضلاً في صناعة الطب فالامور الشرعية ادباً شاعراً ومنه ابن اخته ابو عبد الله بن يزيد وابو مروان عبد الملك بن قبالا وابو اسحق ابراهيم الداني وكان امين البيارستان وطيبه بالحضرة وكذلك ولداه وابو يحيى بن قاسم الاشبيلي كان صاحب خزانة الاشربة والمعاجين التي يأخذها الخليفة المنصور من عنده .

وابو الحكم بن نلتدو الطبيب وابو جعفر احمد بن حسان وابو العلا بن ابي جعفر احمد بن حسان وابو محمد الشذوفي وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة والطب مشهور بالعلم وابو الحسين بن اسدون شهر بالمصدوه الطبيب وعبد العزيز بن مسلمة الباجي وابو جعفر بن الغزال وابو بكر بن القاضي ابي الحسن الزميري وابن الحلاء المرسي وابو اسحق ابن طحلووس من جزيرة شقر من اعمال بلنسية وابو جعفر الذهبي وابو العباس بن رومية التباقي الشاب وابو العباس الكيننازي وابن الاصم وغيرهم من الاطباء الذين كانوا يحجرون الى الطب ادباً وشعراً أو فقهاً وحديثاً وقرأنا او فلسفة ومنطقاً او نجومياً اركيما . هذه جملة اجمالية في بعض رجال العلم غير الديني في الاندلس ذلك القطر الذي اليه تنسب نحو نصف المدينة العربية الذي نقل اهله المدينة القديمة الى اهل المدينة الحديثة فكانوا خير صلة وعائد بين الرومان واليونان والفرس وبين الانكيز والطلبان والالمان والفرنسيين وقد تم ما تم من ذلك بفضل عقول خلفاء العرب وموكم هنالك فقد كان ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن احد ملوك الاندلس عالماً مثقفاً مكرماً للعلماء والشعراء ولم يزل يبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب وكان من صحبه من العلماء والمثقفين ابو بكر محمد بن طفيل احد فلاسفة المسلمين وكان هذا متحققاً بجميع اجزاء الفلسفة يأخذ الجأمية مع عدة اصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتّاب والشعراء والرماة والاجناد الى غير هؤلاء من الطوائف وكان يقول لو تفق عليهم علم الموسيقى لانفقته عندهم ولم يزل ابو بكر يجلب اليه العلماء من جميع الافطار وينبه عليهم ويحضر على اكرامهم والتنويه بهم وهو الذي نبهه الى ابي الوليد محمد بن رشد واثار اليه بتلخيص كتب الحكم

ارسطاطاليس لاث امير المؤمنين كان يشكو من قلق عبارته او عبارة المترجمين عنه وغموض اغراضه .

ومن المتأخرين في هذه العلوم ابو علي الصمعليل حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة (٧١٦) قال لسان الدين وكان فتياً اماماً في علم الحساب والهيئة اخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاطلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتوالييف نسيج وحده ورجعة وقته . ومثل ابى جعفر احمد بن حسن بن باضة السلمي الموقت بالمسجد الاعظم بغرناطة كان نسيج وحده وقرع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية نخت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر وتستدعي الخيرة جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع وباع في ذلك درجة عالية ونال عناية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الاعلام المتقدمين وازرت آلاته بالجمائيات والصفاريات وغيرها من آلات الحكميين وتغالى الناس في اثنائها اخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن . ومثل ابى العباس احمد بن مفرج النبائي المشهور (٦٣٨) وابن جابر الرياضي المشهور والوزير ابن الحاج (٧١٤) كان من العارفين بالجميل الهندسية بصيراً بالتخاذا الآلة الحربية الجافية والعمل بها انتقل الى فاس واتخذ الدولاب المنسحق القطر البعيد المدي والمحيط المتعدد الاكواب الخفي الحركة ومنهم ابن خاتمة الاديب الطيب من اهل المئة الثامنة الذي كتب في الوباء<sup>(١)</sup> كتاباً عرف فيه الميكروب والجراثيم واثبت العدوى بما لا يقل عن عالم من علماء هذا العصر وفيه يقول ابن الخطيب انه حسنة من حسنات الاندلس . ومن رجالات الاندلس واعلامها ابن طهس الوزر كان كاتباً مهندساً الى من ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيمائيين ممن لا يعدم اناس من المؤرخين في صف العلماء جهلاً وتعتناً .

هذا في العلوم الطبية والطبيعية والفلسفية والفلكية والرياضية وقد نبغ في الاندلسيين من العلماء في التاريخ والجغرافيا والادب والرحلات افراد ما يرحت كتاباتهم مرجعاً الى اليوم لكل عالم ومؤلف .

وقد اشتهروا علماء الغرب لهذا العهد في العمارة بالعلوم المادية وبرزوا فيها حتى نشأ لهم ائمة عظام على ما رأيت سابقاً والوا فيها فاحصوا احسانهم في صنائع لا يحصى منها الا صنع الابدعي دقائق النظر وكثيراً ما كانوا يبسطون المسائل ويتوسعون في تحقيقاتها ومنهم من يؤلف العشرة والعشرين مجلداً في علم واحد كما فعل ابو حيان مؤرخ الاندلس فالف كتابه في ستين مجلداً والف احمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة كتاب السماء والماء في مئة مجلد وموضوعه اللغة جعله على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالثالث وختم بالذرة . وكثير فيهم المكثرون من التأليف المجلدون فيها ومنهم من كان له مئة تأليف جيد . وقالوا ان تأليف ابن حزم بلغت نحو اربعمائة مجلد وتوالف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي بلغت الف .

ومن مشاهيرهم ابن جبير الكنتاني (٦١٤) الذي رحل الى المشرق كما رحل كثير من علماء الاندلس قبله الى مصر والشام والعراق والحجاز . غيرها في طلب العلم واخذ الحكمة ثم عادوا الى بلادهم وكتب رحلته المشهورة البديعة .

واشتهر في الجغرافيا ابو عبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧ هـ صاحب كتاب معجم ما استعجم والمسالك والممالك ومحمد بن ابي بكر الزهرري القرطبي من اهل المئة السادسة والشريف الادريسي صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ويقال له كتاب رجار وذلك لانه صنفه بأمر رجار الثاني صاحب صقلية وجنوبي ايطاليا سنة ٥٤٨ هـ وغيرهم .

ومن مؤرخيهم الحميدي وابن حيان وابن خلدون وابن القرظي وابن بسام وابن بشكوال وابن البار وابن سعيد وابن الخطيب ومن ادبايتهم المشهورين ابن جزي وابن هاني وابن سهل الاسرائيلي ويحيى القرطبي وابن رزين وابن عمار وابن ابون والباجي وابن الدباغ وابن الجد وابن القبطرنة وابن عبد البر وابن السعيد وابن عصام وابن عطية وابن خفاجة وابن وهبون وابن اللبانة وابن الصائغ وابن سارة الشنفريني وعبادة وابن وهبون وابن خروف وابن خافان والمصنف والاشجعي وان جهور وان سلة والماني وابن برد وابن ابي أمية ومنذر بن سعيد والزبيدي وابن القوطية وابن العربي (ابوبكر) وابن الاعلى والرمادي ومن ادبايتهم حفصة بنت الحاج الركوني وعائشة بنت قادم وقاطمة الشيلاري وولادة بنت المستكفي بالله بمرم الفيصولي (الفصولي) وصفية بنت عبد الله

الثري والفسانية والبليشية والوادي أشية ولبنى كاتبة الحكم بن عبد الرحمن ومزينة كاتبة الامير الناصر لدين الله وغالية المعلقة وريحانة المقرئة وفاطمة المغامي . وقر البيغدادية وحسانة التميمية وام العلا بنت يوسف الحجازية وامة العزيز الشريفة الحسنية وام الكرام بنت المعتصم بن صمداح المرية . والعروضية . مولاة ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون واعتماد جارية المعتمد المشهورة بالرميكية والعبادية جارية المعتضد وبثينة بنت المعتمد ابن عباد . وحفصة بنت حمدون . وزينب المرية . وغاية المني وعائشة القرطبية واسماء العامرية وام الهناء بنت القاضي عبد الحق ومهجة القرطبية وهند جارية عبد الله بن مسامة الشاطبي النلبية . وحمدة بنت زياد المكاتب واختها زينب قال ابن سعيدها شاعران ادبتيان من اهل الجمال والمال والمعارف والصون الا ان حب الادب كان يحملها على مخالطة اهل مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها . وسعدونة وغيرها . هذه حالة العلوم في تلك المملكة التي بادت وباد سلطانها وقد رأيت كيف كثر المهندسون في بلنسية وغرناطة وفرطبة واشبيلية وغيرها من حواضر الاندلس وباعمال هؤلاء الاعلام زخر بجزر العمران وقامت مدينة العرب على امتن بنيان حتى دهش بها ابن القرن العشرين العلامة روزبه السويصري على ما تقدم بك آنفاً .

( للبحث بقية )

محمد كرد علي

